الحب والزواج والجنس في التراث الإسلامي

دراسة في علاقة الرجل والمرأة من السيوطي إلى العصر الحديث

برعاية مدونة رواد الأعمال   مزمل عبدالرحمن

الحب والزواج والجنس في التراث الإسلامي: دراسة في علاقة الرجل والمرأة من السيوطي إلى العصر الحديث

مزمل عبدالرحمن

برعاية مدونة رواد الأعمال

جدول المحتويات

جدول المحتويات

جدول المحتويات

أهمية الموضوع

يُعدّ موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة من أكثر القضايا التصاقًا بالوجود الإنساني، فهو لا يقتصر على الجانب البيولوجي فحسب، بل يمتد ليشمل أبعادًا شرعية، نفسية، اجتماعية، وتربوية. ولئن كانت مجتمعات اليوم تُحجم عن تناول هذه القضايا بوضوح، فإن التراث الإسلامي يكشف عن جرأة لافتة لدى العلماء في طرحها، بل وتناولها بعمق فقهي وأدبي وطبي. ويأتي جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) مثالًا بارزًا لهذه الظاهرة، إذ ألّف مؤلفات عدة في باب النكاح والعلاقة الزوجية، ما يدل على أن علماء الإسلام لم يكونوا ينظرون إلى الجنس بوصفه عيبًا، بل باعتباره قضية إنسانية مشروعة تستحق البحث والتأليف. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث، إذ يسعى إلى استعادة رؤية التراث الإسلامي في التعامل مع قضايا العلاقة الحميمة، بعيدًا عن التحفظ المبالغ فيه الذي يطبع الخطاب المعاصر.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل:

لماذا تراجع تناول قضايا العلاقة بين الرجل والمرأة في الفكر الإسلامي المعاصر، مقارنة بالجرأة والوضوح اللذين كانا سائدين في التراث؟

فبينما نجد في كتب العلماء القدامى نقاشًا مباشرًا وصريحًا لهذه المسائل، أصبح الخطاب الحالي يتسم بالتحرج، بل أحيانًا بالصمت التام. هذا التراجع خلق فجوة معرفية انعكست سلبًا على الوعي الأسري، وأدت إلى انتشار الجهل الجنسي بين الأزواج، وتفاقم المشكلات الزوجية. وعليه، يسعى البحث إلى كشف أسباب هذا التحول، وتحليل خلفياته التاريخية والثقافية.

أهداف البحث

إبراز جرأة العلماء المسلمين القدامى – وعلى رأسهم السيوطي – في تناول قضايا العلاقة بين الرجل والمرأة.

توضيح الأسس الشرعية والثقافية التي جعلت هذا الطرح ممكنًا في التراث الإسلامي.

تحليل أسباب تراجع الطرح الصريح في العصور الحديثة.

تقديم قراءة مقارنة بين الماضي والحاضر لاستنتاج الدروس الممكنة في التعامل مع الموضوع في سياقنا المعاصر.

المساهمة في إعادة الاعتبار إلى الخطاب الإسلامي الأصيل حول قضايا الأسرة والجنس، باعتباره خطابًا علميًا منضبطًا لا يتعارض مع الحياء ولا الأخلاق.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على منهجية تحليلية – تاريخية – مقارنة، تتجلى في الآتي:

تحليل نصوص تراثية: الوقوف عند مؤلفات السيوطي (رشف الزلال، الوشاح، نواضر الأيك) ونصوص علماء آخرين (ابن حزم، ابن القيم، كتب الطب النبوي) لاستخلاص ملامح الخطاب الجنسي في التراث الإسلامي.

المقارنة التاريخية: عقد مقارنة بين الموقف التراثي والموقف المعاصر، من حيث اللغة والجرأة والمجال التداولي.

البعد النقدي: مناقشة أسباب التحول الثقافي والاجتماعي الذي جعل موضوعًا كان يُطرح في سياق علمي وأدبي مشروع، يتحول إلى "تابو" يخشى الناس الاقتراب منه.

1.1 الرؤية الإسلامية للجنس

عند النظر إلى النصوص المؤسسة في الإسلام – القرآن الكريم والسنة النبوية – يتبين بوضوح أن موضوع الجنس لم يكن من الموضوعات المحرّمة أو المعيبة، بل عومل بوصفه جزءًا أساسيًا من الحياة الإنسانية التي تحتاج إلى تنظيم وتقعيد شرعي.
لقد تناول القرآن الكريم قضايا تتعلق بالزواج، الطلاق، الحيض، النفاس، العدة، العلاقة الحميمة بين الزوجين، وأحكام الاستمتاع، بلغة صريحة ومباشرة في كثير من الأحيان. فالله تعالى يقول:

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [البقرة: 223].

وهذا النص يبيّن مشروعية الاستمتاع الجنسي، ويؤكد أن العلاقة بين الزوجين ليست محصورة في الإنجاب فقط، بل تشمل المتعة الحلال. كما يتحدث القرآن صراحة عن المحظورات:

(فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ) [البقرة: 222].

أما السنة النبوية، فقد تضمنت أحاديث صريحة في هذا الباب. روى مسلم أن النبي ﷺ قال:
«وفي بضع أحدكم صدقة»، أي أن الجماع مع الزوجة يُعدّ قربة إذا قصد به الحلال. وفي حديث آخر: «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها»، وهو تنبيه إلى البعد الأخلاقي والإنساني للعلاقة.

هذا الطرح الصريح يعكس نظرة الإسلام المتوازنة:
فالجنس ليس عيبًا ولا نجاسة في ذاته، بل فطرة خلقها الله، ووضع لها إطارًا شرعيًا يحفظ الكرامة ويمنع الفوضى.

1.2 الثقافة العربية قبل الإسلام

لفهم جرأة العلماء المسلمين لاحقًا في الحديث عن قضايا الجنس، من الضروري الالتفات إلى التراث العربي قبل الإسلام. فقد كان الشعر الجاهلي، على سبيل المثال، يزخر بأوصاف دقيقة للحب والغزل واللقاء الجسدي.
من المعلقات إلى أشعار الصعاليك، نجد أوصافًا صريحة لمفاتن المرأة، ولرغبة الرجل، دون أن يُنظر لذلك باعتباره عيبًا، بل كان جزءًا من الثقافة الأدبية السائدة.

ومع مجيء الإسلام، لم يُلغِ هذه الطبيعة الصريحة للخطاب، وإنما ضبطها بضوابط الأخلاق والدين. فالغزل العفيف أصبح مقبولًا، بينما الهجاء الفاحش أو الفجور المُعلن رُفض. لكن بقيت المباشرة في اللغة حاضرة.

هذا الإرث الثقافي أسهم في جعل العلماء اللاحقين – مثل السيوطي – يتناولون الموضوع بلا حرج. فهم أبناء بيئة اعتادت على الوضوح اللفظي، وليست ثقافة "التلميح المفرط" كما هو الحال في بعض المجتمعات اللاحقة.

1.3 العلاقة الجنسية كعبادة

من أبرز ما ميّز الفكر الإسلامي عن غيره من الثقافات القديمة أن العلاقة الجنسية لم تُعتبر مجرد وظيفة بيولوجية، ولا شهوة مذمومة، بل عمل يُثاب عليه المرء إذا وُضع في الحلال.
فالحديث الشريف:
«وفي بضع أحدكم صدقة» يجعل المتعة الزوجية في منزلة العبادات، مثل الصلاة والصدقة، شريطة أن تكون في إطار الزواج.

كما أن الفقهاء ألّفوا أبوابًا كاملة في كتب الفقه تحت عناوين مثل: باب العشرة الزوجية، باب النكاح، باب الاستبراء، كتاب الطهارة. كلها تحتوي تفاصيل دقيقة عن العلاقة الحميمية.

إذن، الإسلام أضفى قداسة نسبية على الجنس، حيث ربطه بالسكينة والمودة والرحمة:

(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) [الروم: 21].

هذا الإطار الروحي جعل العلماء لا يتحرجون من تفصيل أوصاف العلاقة، لأنهم لم ينظروا إليها باعتبارها موضوعًا مبتذلًا، بل وسيلة من وسائل تحقيق مقاصد الشريعة: حفظ النسل، حفظ العرض، وتحقيق السكينة.

1.4 الموازنة بين الحياء والصراحة

رغم هذه الصراحة، إلا أن النصوص الشرعية والكتابات التراثية لم تكن وقحة أو مبتذلة. بل نجد دائمًا توازنًا بين الحياء والصراحة.

فالحياء مبدأ إسلامي راسخ، لكن لا يعني التهرب من ذكر الحقائق. ولذلك جاءت النصوص بعبارات قوية أحيانًا، لكنها مقبولة في سياقها العلمي أو الشرعي.

هذا التوازن نفسه تبناه العلماء في مؤلفاتهم. فالسيوطي مثلًا، عندما ألّف رشف الزلال من السحر الحلال، استعمل لغة أدبية جميلة، مدعومة بالأحاديث والآيات، ليعطي للموضوع طابعًا شرعيًا وأخلاقيًا، بعيدًا عن الابتذال.

1.5 خلاصة الفصل الأول

يبين لنا هذا الفصل أن:

النصوص الإسلامية الأصلية عالجت قضايا الجنس بوضوح وصراحة.

الثقافة العربية قبل الإسلام كانت مألوفة بالخطاب المباشر حول الحب والجسد.

الإسلام أعطى بعدًا تعبديًا للعلاقة الجنسية، مما جعلها قضية شرعية لا تخجل العلماء.

العلماء لاحقًا ورثوا هذه الصراحة، فكتبوا وألفوا دون حرج، لكن بضبط شرعي وأدبي.

هذا التمهيد ضروري لفهم مواقف علماء مثل السيوطي، الذين لم ينظروا للموضوع كفضيحة، بل كجزء طبيعي من الدين والحياة يحتاج إلى تقعيد علمي.



الفصل الثاني:
العلماء وقضايا العلاقة الزوجية

2.1 دوافع التأليف في قضايا العلاقة

عند دراسة مؤلفات العلماء المسلمين التي تناولت موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة، يتضح أن دوافعهم لم تكن لهوًا أدبيًا أو مجونًا لفظيًا، بل كانت دوافع علمية وشرعية وتربوية واضحة، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أ) دوافع فقهية

الفقه الإسلامي يتناول تفاصيل دقيقة تتعلق بالزواج، الطلاق، العِدّة، الإيلاء، الظهار، واللعان، وهي كلها قضايا مرتبطة بالعلاقة الزوجية والجماع. فالعلاقة الحميمة ليست مجرد ممارسة شخصية، بل لها تبعات قانونية وفقهية تتعلق بحقوق الزوجين وواجباتهما.

وقد أفرد الفقهاء أبوابًا مطولة لهذه المسائل تحت عناوين مثل: باب النكاح، باب العشرة الزوجية، كتاب الطهارة. ولم يكن بالإمكان بيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالحيض، النفاس، الجنابة، أو الاستبراء دون الحديث المباشر عن الجنس.

ب) دوافع طبية

علماء الطب في الحضارة الإسلامية، مثل ابن سينا في القانون في الطب والرازي في الحاوي، أفردوا فصولًا لطب الجنس (المعروف قديمًا بـ"علم الباه"). وقد تناولوا قضايا مثل ضعف الانتصاب، العقم، طرق تحسين القدرة الجنسية، وأهمية الغذاء والدواء في تعزيز العلاقة.

كان الدافع طبيًا – علاجيًا بالأساس، حيث رأى الأطباء المسلمون أن الصحة الجنسية جزء لا يتجزأ من الصحة العامة، وأن إهمالها قد يؤدي إلى أمراض بدنية ونفسية.

ج) دوافع أدبية

الأدب العربي منذ الجاهلية اعتاد على الغزل ووصف مفاتن النساء، لكن في العصور الإسلامية أخذ هذا البعد منحًى جديدًا أكثر انضباطًا، إذ ظهر أدب الغزل العفيف وأدب "الوصايا في النكاح". ومن الأمثلة كتاب طوق الحمامة لابن حزم الذي يمزج بين التجربة الشخصية والتحليل النفسي والاجتماعي للحب.
هذا الإرث الأدبي جعل العلماء يرون أن العلاقة العاطفية والجسدية تستحق التناول بوصفها موضوعًا إنسانيًا راقيًا، وليس مجرد شهوة.

د) دوافع تربوية

من أبرز أهداف هذه المؤلفات تربية الشباب والمقبلين على الزواج، إذ كان الجهل في هذا الباب قد يؤدي إلى مشكلات أسرية خطيرة. فكتب مثل الوشاح في فوائد النكاح للسيوطي لم يكن هدفها إثارة الغرائز، وإنما إعداد الزوجين معرفيًا لفهم الحقوق والواجبات، وكيفية بناء حياة زوجية ناجحة.

2.2 غياب الحرج عند العلماء

من الملامح البارزة في التراث الإسلامي غياب الحرج لدى العلماء في تناول القضايا الجنسية. ويُعزى ذلك إلى جملة من الأسباب:

1. وضوح المرجعية الدينية

النصوص القرآنية والحديثية تحدثت صراحة عن قضايا النكاح والاستمتاع والحيض والعدة، مما منح العلماء غطاءً شرعيًا للتفصيل في هذه الأمور. فالجرأة هنا لم تكن اجتهادًا فرديًا، بل استلهامًا من أسلوب النصوص المؤسسة نفسها.

2. النظرة الطبيعية للجنس

لم يكن الجنس في المخيال الإسلامي الأول مرتبطًا بالعار أو النجاسة، كما في بعض الثقافات الأخرى، بل عومل بوصفه فطرة إنسانية ينبغي ضبطها لا قمعها. هذا جعل العلماء يتحدثون عن الموضوع بلا شعور بالذنب، بل بوعي أنهم يخدمون مقاصد الشريعة:

حفظ النسل والعرض.

3. الثقافة الموسوعية

العالم المسلم لم يكن حبيس تخصّص ضيق كما في العصر الحديث، بل كان موسوعيًا يكتب في الفقه واللغة والطب والأدب معًا. هذا الانفتاح العلمي ساعد على كسر الحواجز بين العلوم، وجعل موضوع الجنس مطروحًا في كتب متنوعة دون تحرج.

4. المسؤولية التعليمية

العلماء كانوا يدركون أن ترك موضوع بهذه الأهمية بلا توجيه سيجعل الناس يستقون معلوماتهم من طرق غير شرعية أو غير علمية. لذا رأوا أن من واجبهم التأليف والتوضيح حتى يضمنوا وصول المعرفة الصحيحة إلى المجتمع.

2.3 مقارنة مع التقاليد الغربية

لفهم خصوصية الطرح الإسلامي، يمكن عقد مقارنة مع المجتمعات الغربية، خاصة في العصور الوسطى ثم العصر الفيكتوري:

الفصل الثاني:
العلماء وقضايا العلاقة الزوجية

في أوروبا الوسيطة، سيطرت الكنيسة الكاثوليكية التي اعتبرت الجنس "شرًا ضروريًا" يقتصر على الإنجاب. هذا الموقف انعكس في خطاب شديد التحفظ والرقابة.

في العصر الفيكتوري (القرن 19م)، أصبح الحديث عن الجنس من المحرمات الاجتماعية المطلقة، وأي ذكر صريح كان يُعد فضيحة أخلاقية.

بالمقابل، كان العلماء المسلمون في القرون نفسها يؤلفون كتبًا مثل رشف الزلال ونواضر الأيك، في صراحة منهجية لا تخلو من الطابع الأدبي.

هذه المقارنة تبيّن أن التحفظ المفرط لم يكن من صميم الثقافة الإسلامية، بل جاء لاحقًا بفعل التغيرات الاجتماعية والتأثر بالنموذج الغربي الاستعماري.

2.4 خلاصة الفصل الثاني

يُظهر هذا الفصل أن:

دوافع العلماء في تناول موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة كانت فقهية، طبية، أدبية، وتربوية.
غياب الحرج لديهم كان نتاجًا للنصوص الشرعية والثقافة الموسوعية، وليس خضوعًا لشهوة أو مجون.

موقفهم يختلف جذريًا عن الموقف الغربي الوسيط والفيكتوري، مما يدل على خصوصية الحضارة الإسلامية في النظر إلى قضايا الجنس.

وبهذا يمهد الفصل لدراسة حالة جلال الدين السيوطي في الفصل الثالث، كنموذج واضح لجرأة العلماء المسلمين في معالجة هذا الباب من المعرفة.

الفصل الثالث:
جلال الدين السيوطي نموذجًا

3.1 سيرته العلمية

وُلد جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (849–911هـ/1445–1505م) في القاهرة، في أسرة علمية عُرفت بالتدين والانتماء إلى الوسط الفقهي الشافعي. فقد والده وهو صغيرًا، فنشأ يتيمًا، لكنه أظهر نبوغًا مبكرًا في طلب العلم.
درس السيوطي على كبار علماء عصره في الأزهر، وأتقن علوم التفسير، الحديث، الفقه، اللغة، والتاريخ. حتى لُقّب بـ"خاتمة الحفاظ"، نظرًا لسعة حفظه وتنوع مؤلفاته التي تجاوزت 500 كتاب ورسالة.
كان موسوعيًا بامتياز، إذ كتب في علوم القرآن (الإتقان في علوم القرآن)، الحديث (الجامع الصغير والجامع الكبير)، الفقه (الأشباه والنظائر)، اللغة (المزهر)، التاريخ (تاريخ الخلفاء).

غير أن اللافت في سيرته أنه لم يتردد في الكتابة في قضايا العلاقة الزوجية والجنسية، من منظور شرعي وأدبي، وهو ما يعكس شجاعته الفكرية وإدراكه لأهمية هذه القضايا في حياة المسلمين.

3.2 مؤلفاته في قضايا العلاقة

أ) رشف الزلال من السحر الحلال

يُعدّ من أبرز مؤلفاته في هذا الباب. تناول فيه قضايا الاستمتاع بين الزوجين بأسلوب يجمع بين النصوص الشرعية والطرائف الأدبية.

- يورد فيه أحاديث نبوية وأقوال للصحابة والتابعين حول الزواج والجماع.
- يستشهد بأبيات شعرية عربية في وصف العلاقة العاطفية والجسدية.
- يربط بين المتعة الحلال وبين مقاصد الشريعة كالسكينة والمودة وحفظ النسل.

ب) الوشاح في فوائد النكاح

كتاب يوضح فوائد الزواج والعلاقة الزوجية، ويبيّن كيف أن النكاح يحفظ الفرد والمجتمع من الفوضى والانحراف.
يبرز البعد الاجتماعي للنكاح بوصفه وسيلة لاستقرار الأسر.
يربط بين الفوائد الدينية (كثرة النسل، غض البصر) والفوائد الدنيوية (الأنس، اللذة، الصحة).

ج) نواضر الأيك في معرفة النيك

كتاب طريف يجمع بين الأدب والفقه. يتسم بصراحة أكبر، حيث يورد فيه تفاصيل لغوية وأدبية حول الجماع، ويعتمد على الاستشهاد بالشعر العربي القديم.

الكتاب يُظهر أن السيوطي لم يكن يتحرج من تسمية الأشياء بأسمائها.

مع ذلك، ظل يحافظ على الطابع الأدبي والشرعي، بعيدًا عن الإسفاف أو المجون.

3.3 تحليل أسلوبه

من خلال تحليل هذه المؤلفات، يتضح أن للسيوطي أسلوبًا مميزًا في طرح قضايا العلاقة الزوجية:

1. الجمع بين الفقه والأدب

لم يقتصر على الجانب الفقهي الجاف، بل مزجه بالشعر والنوادر، ليجعل الطرح أكثر قربًا من القارئ. كان يدرك أن الموضوع حساس، فجعل اللغة الأدبية وسيلة تلطيف.

الفصل الثالث:
جلال الدين السيوطي نموذجًا

2. الاستناد إلى النصوص الشرعية

لم يُقدّم الطرح بوصفه اجتهادًا أدبيًا فقط، بل أسنده إلى القرآن والحديث، مما أعطاه مشروعية دينية، وأبعد عنه شبهة اللهو أو الابتذال.

3. الصراحة المنضبطة

لم يكن السيوطي يتردد في ذكر الألفاظ المباشرة، لكنه كان يضعها في سياق علمي أو لغوي. فحين يذكر أوصاف الجماع، يعللها بأنها لغة العرب، أو أنها لازمة لشرح الحكم الشرعي.

4. البعد التربوي

أهداف السيوطي لم تكن إثارة الغرائز، بل تثقيف الأزواج والمقبلين على الزواج. لذلك نجد كتبه توازن بين التحذير من المحرمات (كالزنا واللواط) وبين تشجيع الاستمتاع الحلال.

3.4 مكانة هذه المؤلفات في التراث

قد يُظن أن هذه الكتب كانت شاذة أو نادرة، لكن الواقع أن لها نظائر في التراث الإسلامي:

ابن قيم الجوزية في روضة المحبين تناول قضايا الحب والعلاقة.

ابن حزم الأندلسي في طوق الحمامة مزج بين التجربة الشخصية والتحليل النفسي للحب.

الأطباء المسلمون كتبوا في "علم الباه" كجزء من الطب.

لكن ما ميّز السيوطي هو أنه عالم أصولي ومحدث كبير، ومع ذلك ألّف بلا حرج في هذا المجال. وهذا يعكس أن المؤسسة العلمية الإسلامية لم ترَ في الأمر عيبًا، بل مجالًا مشروعًا للتأليف.

3.5 أبعاد جرأة السيوطي

يمكن القول إن جرأة السيوطي في هذا الباب تجلّت في ثلاثة أبعاد رئيسية:

البعد الديني: اعتبر العلاقة الزوجية عبادة، فطرحها بلا تحرج.

البعد الأدبي: استخدم الشعر واللغة الرفيعة لتزيين الموضوع.

البعد التربوي: أراد نشر وعي جنسي شرعي يحمي الشباب من الانحراف.

3.6 خلاصة الفصل الثالث

يكشف نموذج السيوطي أن العلماء المسلمين الكبار لم ينظروا إلى الحديث عن الجنس باعتباره انتقاصًا من مكانتهم العلمية، بل جزءًا من واجبهم تجاه الأمة.
لقد استطاع أن يقدم خطابًا يجمع بين الصراحة والأدب، الفقه والشعر، الشرع والتربية، مما يجعل مؤلفاته شاهدًا بارزًا على الجرأة العلمية في التراث الإسلامي.

الفصل الرابع:
نماذج أخرى من التراث الإسلامي

4.1 ابن حزم الأندلسي (384-456هـ)

أ) سيرته ومكانته

ابن حزم وُلد في قرطبة بالأندلس، وكان من كبار فقهاء الظاهرية، موسوعيًا بارعًا في الفقه، العقيدة، الأدب، والتاريخ. ورغم شدته في الجدل، ترك لنا أثرًا أدبيًا يُعد من روائع التراث: طوق الحمامة في الألفة والألاف.

ب) طوق الحمامة في الألفة والألاف

يتناول موضوع الحب من جوانبه الروحية والعاطفية والنفسية.

عرض فيه لتجربته الشخصية في شبابه، إلى جانب أمثلة من المجتمع الأندلسي.

يتميز بالصدق والعمق النفسي، إذ يُعدّ من أوائل الكتب في علم النفس العاطفي.

ج) ملامح جرأته

لم يتحرج من وصف حالات العشق والغيرة والهجران.

انتقد الممارسات المنحرفة كالزنا، لكنه تناول موضوع الحب بمشروعية إنسانية.

جمع بين التجربة الشخصية والطرح العلمي، وهو ما جعله نموذجًا فريدًا.

الفصل الرابع:
نماذج أخرى من التراث الإسلامي

4.2 ابن قيم الجوزية (691-751هـ)

أ) سيرته ومكانته

ابن القيم كان من كبار تلاميذ ابن تيمية، عُرف بكتبه الموسوعية في الفقه والتفسير والروحانيات. لكنه أيضًا تناول قضايا الحب والعلاقة الزوجية بجرأة لافتة.

ب) روضة المحبين ونزهة المشتاقين

موسوعة في الحب وأحواله وأنواعه.

يجمع بين النصوص الشرعية، التحليل النفسي، والشعر العربي.

يناقش اللذة، الشوق، العفة، الجمال، مع ربطها بالبعد الديني.

ج) ملامح جرأته

لم يتردد في وصف آثار الحب الجسدية والنفسية.

أدخل مفاهيم العشق ضمن الإطار الشرعي، مفرقًا بين الحلال والحرام.

استخدم لغة أدبية عالية، مما جعل الكتاب مرجعًا بين الأدب والفقه.

الفصل الرابع:
نماذج أخرى من التراث الإسلامي

4.3 الأطباء المسلمون و"علم الباه"

أ) نشأة علم الباه

في الحضارة الإسلامية، لم يُنظر إلى الجنس باعتباره مجرد لذة، بل جزءًا من الطب الوقائي والعلاجي. لذلك ظهر علم خاص سُمّي علم الباه، أي علم الجماع والقدرة الجنسية.

ب) أهم المؤلفات

الرازي (ت. 313هـ): تناول في كتبه الطبية موضوعات تقوية الباه، وأثر الغذاء والأدوية في تنشيط القدرة الجنسية.

ابن سينا (ت. 428هـ): في القانون في الطب أفرد فصولًا للحديث عن الشهوة الجنسية، والعلاقة بين الصحة العامة والجماع.

ابن النفيس (ت. 687هـ): اهتم بآثار الجماع على البدن، ووسائل الوقاية من الإفراط أو التفريط.

ج) ملامح جرأتهم

تناولوا العلاقة الزوجية بوصفها جزءًا من الصحة العامة.

استخدموا مصطلحات صريحة، معتبرين أنها لغة علمية لا حرج فيها.

قدّموا وصفات غذائية وعلاجية، مما يدل على إدراكهم لاحتياجات الناس.

4.5 خلاصة الفصل الرابع

تكشف هذه النماذج أن التراث الإسلامي كان متعدد الأصوات في تناول قضايا الحب والجنس والعلاقة الزوجية:

ابن حزم ركّز على الجانب النفسي والعاطفي.

ابن القيم جمع بين الدين والأدب، ليضع الحب في إطار شرعي.

الأطباء نظروا إلى الموضوع بوصفه علمًا يتعلق بالصحة والطب.

إن هذا التنوع يدل على انفتاح الثقافة الإسلامية، وعدم تحرجها من مناقشة هذه القضايا بجرأة علمية وأدبية، مما يفتح أمامنا أفقًا أوسع لفهم أصالة التراث وثرائه.

الفصل الخامس:
التحولات في العصور المتأخرة حتى العصر الحديث

5.1 مدخل

بعد أن رأينا في الفصول السابقة كيف تناول علماء الإسلام الأوائل موضوع العلاقة بين الرجل والمرأة بجرأة وانفتاح، من خلال نصوص فقهية، أدبية، وطبية، يبرز السؤال: ما الذي تغيّر لاحقًا؟
هذا الفصل يحاول تتبّع التحولات التاريخية والثقافية التي جعلت موضوعًا كان حاضرًا في المؤلفات الإسلامية الكلاسيكية، يتحوّل إلى "تابو" في القرون المتأخرة ثم في العصر الحديث.

5.2 التحولات في العصور المملوكية والعثمانية

أ) ازدياد النزعة المحافظة

مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتداخل الثقافات، بدأت مظاهر التشدد الاجتماعي بالظهور، خاصة في البيئات الحضرية.

ارتبطت قضايا الجنس تدريجيًا بالمروءة والحياء الاجتماعي، وأصبحت موضوعات لا تطرح إلا في كتب خاصة محدودة التداول.

ب) تقلّص مساحة الأدب المكشوف

بعد القرون الأولى، خفت صوت الأدب الجنسي الصريح (مثل مؤلفات الجاحظ أو السيوطي).

تميل كتب المواعظ والرقائق في العصور المتأخرة إلى التحذير من الفتنة والشهوة، أكثر من تشجيع الحديث العلمي عنها.

ج) الطب في العهد العثماني

ظل الأطباء يتناولون مسائل "الباه"، لكن ضمن سياق محدود، وفي رسائل صغيرة، غالبًا مترجمة عن الفارسية أو التركية.

أخذت اللغة الطبية تزداد حذرًا، مقارنة بجرأة الرازي أو ابن سينا.

5.3 العصر الحديث وتأثير الاستعمار

أ) دخول الثقافة الغربية

مع دخول الاستعمار الغربي، تأثرت المجتمعات الإسلامية بازدواجية جديدة:

من جهة، ثقافة غربية أكثر صراحة في الحديث عن الجنس.

من جهة أخرى، رغبة محلية في التشديد والتشبث بالحياء كنوع من "المقاومة الثقافية".

أدى هذا التناقض إلى حالة من التوتر: فالجنس إما يُعرض في صورة مبتذلة (الأدب الشعبي) أو يُحجب تمامًا في الخطاب العام.

ب) التعليم الحديث

المدارس والجامعات التي تأسست في القرن التاسع عشر لم تُدرج "التربية الجنسية" في مناهجها، بخلاف ما فعله الأطباء المسلمون الأوائل.

هذا الغياب أدى إلى فراغ معرفي كبير، عوضته وسائل غير موثوقة (الأسواق الشعبية، الروايات، لاحقًا وسائل الإعلام).

ج) الخطاب الديني

تحوّل خطاب العلماء إلى المواعظ الأخلاقية والتحذيرات من الفتن، بدلًا من الطرح العلمي أو الفقهي التفصيلي.

أصبح مصطلح "الجنس" يُقرن غالبًا بالانحراف أو الإباحية، لا بالزواج أو الصحة أو السكينة.

5.4 أسباب التراجع

يمكن تلخيص أهم أسباب تراجع تناول قضايا العلاقة بين الرجل والمرأة في العصر المتأخر والحديث فيما يلي:

التحولات الاجتماعية: صعود قيم المحافظة المبالغ فيها وربط الحياء بالصمت التام.

التأثر بالتصوف الشعبي: الذي ركّز على الزهد واعتبر الحديث في الشهوة ضربًا من الانشغال بالدنيا.

الاستعمار الثقافي: الذي ولّد رد فعل دفاعي تمثل في تجنب الموضوع باعتباره "عيبًا" أو "مستورَدًا".

انفصال العلوم الحديثة عن التراث: إذ أصبح الطب منفصلًا عن الفقه والأدب، وفقدنا الرؤية التكاملية التي كانت موجودة عند السيوطي وابن القيم.

الخوف من الابتذال: مع انتشار الأدب المكشوف في العصر الحديث، فضّل العلماء الصمت على الخوض في هذه القضايا بجدية.

5.5 آثار هذا التراجع

ضعف الوعي الجنسي لدى الأزواج، وانتشار المشكلات الزوجية.

الازدواجية الأخلاقية: خطاب عام متحفظ يقابله فضول خفي يبحث عن بدائل غير موثوقة.

فقدان الثقة بالتراث: حيث يظن كثيرون أن الإسلام لم يتناول هذه المسائل أصلًا، بينما التراث مليء بالنصوص الصريحة.

تغريب المعرفة الجنسية: إذ أصبح المسلمون يعتمدون على كتب غربية أو إعلام غربي لفهم موضوع العلاقة الزوجية.

5.6 خلاصة الفصل الخامس

يكشف هذا الفصل أن تراجع تناول قضايا العلاقة بين الرجل والمرأة لم يكن ناتجًا عن الدين الإسلامي نفسه، بل عن تحولات اجتماعية وثقافية وتاريخية.
فبينما كان علماء التراث أكثر جرأة وصراحة في الطرح، انكمش الخطاب في العصور المتأخرة، ثم زاد التحفظ في العصر الحديث تحت تأثير الاستعمار والثقافة الغربية من جهة، وردود الفعل المحافظة من جهة أخرى.

الفصل السادس:
الخاتمة والتوصيات

6.1 خلاصة البحث

يتضح من خلال تتبع مسار الخطاب الإسلامي حول العلاقة بين الرجل والمرأة أن التراث الإسلامي لم ينظر إلى هذه القضايا باعتبارها عيبًا أو محظورًا مطلقًا، بل تناولها بجرأة ووضوح في إطار شرعي وعلمي.

في العصور الأولى، وجدنا فقهاء وأدباء وأطباء – مثل السيوطي، ابن حزم، ابن القيم، الرازي، وابن سينا – يكتبون نصوصًا تفصيلية تجمع بين الأدب والفقه والطب.

في العصور المتأخرة، حدث تحول واضح نحو التحفظ والانكماش في تناول هذه الموضوعات، تحت تأثير عوامل اجتماعية وثقافية ودينية.

في العصر الحديث، زاد التراجع بسبب ازدواجية الخطاب (بين المحافظة المفرطة والتأثير الغربي المباشر)، ما أدى إلى فجوة معرفية انعكست سلبًا على وعي الأسرة المسلمة.

إذن، المشكلة ليست في الدين أو التراث، وإنما في التغيرات التاريخية والثقافية التي أحاطت بمجتمعات المسلمين.

6.2 النتائج الرئيسة

أصالة الطرح الإسلامي: تناول العلماء الأوائل العلاقة الزوجية بصراحة منضبطة، ما يدل على انفتاح معرفي وجرأة علمية.

التكامل بين العلوم: لم يكن هناك فصل بين الطب والفقه والأدب في معالجة الموضوع، بل وُجد خطاب شامل متكامل.

الفصل السادس:
الخاتمة والتوصيات

التحولات الاجتماعية: العصور المملوكية والعثمانية شهدت تراجعًا تدريجيًا، مع ربط الحديث في الجنس بالحياء السلبي لا بالحياء الشرعي.

الأثر الاستعماري: دخول الغرب عمّق الازدواجية، فجعل المجتمعات بين خطاب غربي صريح وخطاب محلي متحفظ.

الفجوة المعاصرة: غياب التربية الجنسية الإسلامية المتوازنة أدى إلى بروز مشكلات أسرية ومجتمعية.

6.3 التوصيات

إعادة قراءة التراث: ضرورة إبراز نصوص العلماء المسلمين (مثل السيوطي وابن القيم) التي تثبت أن الإسلام لم يرفض الحديث عن الجنس، بل نظّمه.

إحياء التكامل المعرفي: تشجيع الدراسات البينية التي تربط بين الطب، الفقه، علم النفس، والأدب في تناول موضوع العلاقة الزوجية.

إدماج التربية الجنسية المنضبطة: إدخال مقررات علمية وأخلاقية في التعليم، مستلهمة من التراث الإسلامي، لمواجهة الجهل والمفاهيم المغلوطة.

تطوير الخطاب الديني: دعوة العلماء والخطباء إلى معالجة قضايا الزواج والجنس بجرأة علمية، بعيدًا عن الابتذال أو التحفظ المبالغ فيه.

البحث المقارن: تشجيع بحوث مقارنة بين التراث الإسلامي والتجارب المعاصرة في التربية الجنسية، لاستخلاص حلول عملية تناسب المجتمعات الإسلامية.

الفصل السادس:
الخاتمة والتوصيات

6.4 خاتمة عامة

إن العودة إلى التراث الإسلامي تكشف أن الجرأة في تناول قضايا العلاقة بين الرجل والمرأة لم تكن خروجًا عن الحياء أو الدين، بل كانت تعبيرًا عن رؤية متوازنة تجمع بين الشرع والعلم والحياة الإنسانية. وفي المقابل، فإن الصمت المعاصر ليس دليلًا على ورع، بل على أزمة معرفية وثقافية تحتاج إلى معالجة عاجلة.

ومن ثم، فإن إحياء الخطاب الإسلامي الأصيل، بروح علمية وأخلاقية، هو السبيل الأمثل لسد الفجوة الحالية، وضمان وعي أسري واجتماعي متوازن في مواجهة التحديات الحديثة.

قائمة المراجع:

قائمة المراجع:

جلال الدين السيوطي (849–911هـ): تناول العلاقة الزوجية بصراحة في مؤلفاته مثل رشف الزلال والوشاح، مع مزج بين الفقه والأدب، مؤكداً أن المتعة الحلال حق شرعي للزوجين (المرجع: السيوطي، 1505م).

ابن حزم الأندلسي (384–456هـ): في كتابه طوق الحمامة، جمع بين التجربة الشخصية والتحليل النفسي للحب، معتبرًا أن الحب والزواج لهما بعد نفسي واجتماعي (ابن حزم، 1064م).

ابن القيم الجوزية (691–751هـ): تناول الحب والعلاقة الزوجية من منظور تربوي وشرعي في روضة المحبين، مبرزًا العلاقة بين الشهوة والعفة ضمن إطار ديني متوازن.

الأطباء المسلمون: الرازي وابن سينا وابن النفيس اعتبروا العلاقة الزوجية جزءًا من الصحة العامة، وكتبوا نصوصًا علاجية حول القدرة الجنسية، مما يعكس الطرح العلمي للموضوع في التراث الإسلامي.

النتيجة التراثية: كل هذه الدراسات التراثية تشير إلى أن علماء المسلمين لم يتحرجوا من تناول العلاقة الزوجية، وكان الطرح يجمع بين الفقه، الأدب، والطب، مع احترام الحياء والضوابط الشرعية.

2. الأدبيات المعاصرة

مع التحولات الاجتماعية والتأثيرات الغربية، بدأت الدراسات المعاصرة تعالج هذا الموضوع في إطار محدود، وغالبًا من منظور التربية الصحية أو علم النفس الاجتماعي:

قائمة المراجع:

Effectiveness and Acceptability of a Sexual Health Education Program for Muslim Countries (2025)

دراسة تقييمية لبرنامج التربية الجنسية في تركيا، تبرز قبول المجتمع ومدى فعالية هذه البرامج في السياق الإسلامي.

Childhood and adolescent sexuality, Islam, and problematics of sex education (2015)

تناولت التحديات في تعليم الأطفال والمراهقين، ودعت لإعادة النظر في طرائق التعليم الجنسي ضمن المجتمعات الإسلامية.

Engaging Islamic sexual ethics: Intimacy, pleasure and sacrality (2015)

ركزت على تجارب نساء مسلمات، واستكشفت العلاقة بين المتعة الحلال والبعد الأخلاقي والديني، موفرة بعدًا تجريبيًا يُكمل التحليل الفقهي.

Review of gender-responsive sex education material and methods in the context of Islamic education (2024)

مراجعة تحليلية لمواد وطرق التربية الجنسية التي تراعي الفروق بين الجنسين في التعليم الإسلامي، واستعراض تفاعل المتعلمين معها.

إقرأ أيضاً



أضغط هنا

للمزيد من منشوراتي على مكتبة نور

أضغط هنا

ولا تحرمنا من تقييمك



شكرًا لاهتمامك .. نأمل بأن محتوى الكتاب قد
نال أعجابك .. مع خالص دعواتنا لك أن تستفيد
منه قدر الإمكان ..
وشكرًا لتعاونكم....

روابط مواقع قد تنال إهتمامك:

مدونة رواد الأعمال	مدونة الصحة (إنجليزي)
مقالاتي في موقع أموالي	أسرار التسوق من على اكسبرس
مقالاتي في موقع (مديم) إنجليزي	موقع تبادل بانرات
أفضل موقع زيارات متوافق مع ادسنس	بروفايلي على بلوغر
للتواصل معنا	افضل موقع زيارات المواقع